

الشيخ عبد الحميد الفراهي
حياته وجهوده في مجال الدراسات القرآنية

د. مُحمَّد فريد راوي بن عبد الله¹

Abstrak

Penglibatan ulamak benua India dalam bidang pengajian tafsir dan ulum al-Quran tidak boleh dinafikan. Imam 'Abdul Hamid al-Farahi merupakan seorang sarjana dalam pengajian tafsir dan ulum al-Quran pada kurun ke-14 hijrah. Beliau berjaya menghasilkan karya-karya ulung dalam bidang tafsir dan ulum al-Quran sehingga dikategorikan sebagai pelopor kepada pembaharuan bagi pengajian Tafsir dan ulum al-Quran. Imam 'Abdul Hamid al-Farahi tidak dikenali oleh dunia Islam, apatah lagi sumbangan beliau dalam pengajian al-Quran. Oleh yang demikian penulis merasakan bahawa seharusnya Imam ini diperkenalkan kepada dunia Islam dengan menganalisa peranan dan sumbangan beliau dalam bidang pengajian al-Quran. Jesturu, penulis membahagikan penulisan ini kepada dua bahagian, pertama; pengenalan Imam 'Abdul Hamid al-Farahi, manakala bahagian kedua tertumpu kepada sumbangan beliau dalam bidang pengajian al-Quran.

Kata kunci: 'Abdul Hamid al-Farahi, Tafsir, Ulum al-Quran.

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث ترجمةً مختصرةً للشيخ عبد الحميد الفراهي، أحد أجلة علماء المسلمين في القرن الرابع عشر الهجري، ومن أكابر المفسرين للقرآن الكريم، وأعلام المؤلفين في علومه ومعارفه ودقائقه في هذا القرن. كما يقوم البحث بتعريف لكل ما دَبَّجته يراعة هذا العالم الجليل في هذا المضمار المبارك من مؤلفات قيمة، ورسائل نفيسة، والتي لم يسبقه إلى تأليف مثلها أحدٌ من قبل، فكان في كثير من موضوعاتها ابنٌ بجدتها وأبا عُذرتها. فلذلك استحقَّ مني هذا العَلمُ الشامخُ بجدارة أن أتناول التعريف بسيرته الذاتية وأعماله الجليلة القيمة في هذا البحث، الذي يشتمل على مبحثين، أولهما يخصُّ سيرته، والثاني بآثاره العلمية في حقل الدراسات القرآنية.

مقدمة البحث:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا

1 مدير معهد الأبحاث العلمية المطورة (RMC)، والمحاضر في قسم الكتاب والسنة، الأكاديمية الإسلامية، في الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلاجور - ماليزيا.

مضللّ له، ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله. أما بعد: فإنّ لعلم التفسير منزلةً عظيمةً ومكانةً عاليةً بين العلوم الشرعية، ونظراً إلى ذلك فقد قام العلماء بخدمة هذا العلم من شتى نواحيه في كل مصر وعصر، ووقفوا لذلك حياتهم، ومنهم: المفسر الأديب، العلامة الجليل، المؤلف المكثر: الإمام عبد الحميد الفراهي، الذي كان جامعاً بين التبخّر في العلوم العربية والدينية، والاطّلاع الواسع على العلوم العصرية والطبيعية، ويظهر أثر هذه الثقافة الموسوعية العميقة في معظم مؤلّفاته التي ألّفها باللغة العربية والأردوية معاً في موضوعات مختلفة، والتي تبلغ واحداً وخمسين كتاباً، ومن أهمّ تلك الكتب وأعظمها ما ألّفه حول القرآن الكريم وتأويله وتفسيره، وفصاحته وبلاغته، ومفرداته، وكلّ ما يتصل به من العلوم القرآنية.

لكنه مع ذلك مما يدعوننا إلى الأسف أنّ هذا العالم الجليل، والعلم الكبير ما زال مجهولاً في كثير من الأوساط العلمية، على الرغم من كثرة إنتاجه العلمي الذي يتميز بالأصالة والتحقيق. فوددت أن تكون جهود هذا الإمام في الدراسات القرآنية تلك، موضوعاً لهذا البحث المتواضع، الذي يهدف إلى التعريف بسيرة الفراهي العلمية من أهم جوانبها، ثم إلى إبراز جميع جهوده في خدمة القرآن الكريم وعلومه.

المبحث الأول: سيرة الإمام الفراهي الذاتية والعلمية:

يحتوي هذا المبحث على ثمانية مطالب، وسأتناول تحت عناوينها التعريف بسيرة الإمام الفراهي من أهم جوانبها الذاتية والعلمية باختصار.

المطلب الأول: اسمه ونسبه ونسبته:

اسمه: هو عبد الحميد بن عبد الكريم بن قُربان قنبر بن تاج عليّ، حميد الدين⁽²⁾.

نسبه: يُنسب إلى عائلة معروفة في الهند تُسمّى "الأنصاري"⁽³⁾، كما أشار إلى ذلك في بعض كتبه⁽⁴⁾.

نسبته: أما نسبته فهي إلى قريته التي أبصر فيها النور، والتي تُعرّف بـ"قريتها"، وهي من قرى "أعظم كره" من مديريات الإقليم الشمالي في الهند المسمّى بـ"آترابديش".

المطلب الثاني: مولده:

(2) انظر: الندوي، سيد سليمان، في ترجمته للفراهي في مقدمة الكتاب "الإمعان في أقسام القرآن". 1415هـ/1994م. دمشق: دار القلم. ط1. ص13.

(3) قيل أن نسبة الأنصاري إلى أسرة الأنصارية ذات الانتشار الواسع في بلاد القارة الهندية، وصدر خلاف شديد، منهم من يدعي أنهم من "أنصار المدينة"، ومنهم من يقول أنها أسرة هندية الأصل وأسلم أجدادها.

(4) انظر: عبد الحي بن فخر الدين الحسيني. 1420هـ/1999م. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر. بيروت: دار ابن حزم. ط1. ج8، ص1267.

وُلد الفراهي في قرية "فريها" صباح يوم الأربعاء، سادس جمادى الآخرة، سنة 1280هـ، في أسرة علمية كريمة معروفة بنسبها وحسبها وعلمها وفضلها ومكانتها الاجتماعية⁽⁵⁾.

المطلب الثالث: نشأته ودراسته:

بدأ الفراهي طلبه للعلم بحفظ القرآن الكريم فأكمله وهو ابن عشر سنين أو نحو ذلك⁽⁶⁾. ثم شرع في تعلّم اللغة الفارسية في مدة تسعة أشهر على أحد الأساتذة البارعين، وبرع فيها حتى استطاع أن يقرض الشعر بها⁽⁷⁾.

ثم أقبل على تعلّم اللغة العربية، فتعلّمها على ابن عمّه العلامة شبلي النعماني، الذي كان من كبار العلماء الملمين بالعربية وآدابها وقتئذ، فأتقن الفراهي هذه اللغة على يده إتقاناً كاملاً، ثم تآقت نفسه إلى قراءة آداب هذه اللغة، فدرسها على الشيخ فيض الحسن السهارنفوري، الذي كان يُعد وقتئذ من كبار علماء اللغة والأدب في شبه القارة الهندية، وألمّ الفراهي بهذه اللغة إلماماً تاماً.

وبعد أن أخذ الفراهي حظاً وافراً من اللغتين الفارسية والعربية؛ تعلّم اللغة الإنجليزية وأتقنها حتى استطاع فيما بعد أن يؤلّف ويحاضر فيها، وله في هذه اللغة رسالة أُلّفها عن عقيدة الشفاعة والكفارة، ردّها بها على بعض علماء النصراني⁽⁸⁾.

كما أنه تعلّم أيضاً اللغة العبرانية أيضاً على المستشرق اليهودي الألماني جوزف هوروفيتس، وقد أعانته هذه اللغة كثيراً فيما بعد في قراءة التوراة للمقارنة بينها وبين القرآن الكريم، وكذلك أعانته هذه اللغة على الردّ على اليهود والنصارى في بعض المسائل الدقيقة⁽⁹⁾.

ثم رحل الفراهي إلى مدينة "كنؤ" حيث قرأ العلوم النقلية والعقلية، على الإمام المحيّد الشيخ عبد الحي الحسيني اللكنوي، ثم على الشيخ فضل الله الأنصاري اللكنوي، اللذين كانا من أئمة هذه العلوم في الهند في ذلك العصر⁽¹⁰⁾.

المطلب الرابع: اشتغاله في مجال التدريس:

(5) أجمل الإصلاح، ترجم له في مطلع كتاب "مفردات القرآن، نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية". 2002م. تحقيق: مُجَدِّد

أجمل أيوب الإصلاح. بيروت: دار الغرب الإسلامي، بيروت. ط1. ص16.

(6) الإصلاح، شرف الدين. 2002 م. ذكر فراهي. أعظم كره: الدائرة الحميدية. ط1. ص57.

(7) عبد الحي الحسيني، نزهة الخواطر، ج8، ص1267.

(8) انظر: الندوي، سليمان، في ترجمة الفراهي للحقبة بكتابه "إمعان في أقسام القرآن"، ص19.

(9) انظر: أجمل الإصلاح، في ترجمته للفراهي في فاتحة كتاب "مفردات القرآن"، ص24.

(10) عبد الحي الحسيني، نزهة الخواطر، ج8، ص1267.

عُيِّنَ الفراهي مدرِّساً للغة العربية في "مدرسة الإسلام" بمدينة "كراتشي" في عام 1314هـ، وظلَّ يعمل فيها قرابة تسع سنوات. ثم انتقل إلى "كلية عليكره" في سنة 1324هـ، وعيِّن فيها أستاذاً مساعداً للعربية، ودرَّس فيها سنتين. ثم انتقل من هناك إلى "جامعة إله آباد" حيث قام بتدريس العربية بمرتبة أستاذ نحو ست سنوات. كما اختير في سنة 1332هـ رئيساً لـ"دار المصنفين" في مدينة أعظم كره، وترأسها حتى وفاته⁽¹¹⁾. وقد تخرَّج على الفراهي الكثير من علماء الهند، وكان أشهرهم وأنبغهم وأكثرهم ملازمةً له: الشيخ أختَر أحسن الإصلاحِي (ت1378هـ)⁽¹²⁾، والشيخ أمين أحسن الإصلاحِي (ت1418هـ) صاحب التفسير الشهير "تدبُّر القرآن" بالأردوية⁽¹³⁾، وكان لهُذين التلميذين دور كبير في نشر تراث الإمام الفراهي وتخليد آثاره وأفكاره.

المطلب الخامس: من صفاته الخلقية والخلقية:

كان أَسْمَر اللون المائل إلى البياض، ونحيل الجسم، ومتوسط القامة، وكامل اللحية، قليل الكلام، كثير الفكر، مُجَبِّاً للعزلة، ومهيباً ووقوراً، رشيداً ورزينا⁽¹⁴⁾.

وعُرِفَ في طيلة حياته، بفرط الذكاء، وِنفاذ البصر، وسرعة الإدراك، ودقة الاستنباط، وغازة العلم، وسعة الاطلاع، فكان عالماً ذا ثقافة واسعة متنوّعة، فقد برع في العلوم النقلية والعقلية، ومهر في اللغات الشرقية والغربية، وبرع في الفلسفة الحديثة، وتلك أمور لم يتصف بها أحد من علماء الهند قديماً وحديثاً، ثم لم يزد ذلك كله إلا قوةً في الدين وغيره عليه، واستقامةً عليه علمياً وعملياً. وكان زاهداً في الدنيا، ومتواضعاً في غاية التواضع، مع جود وغنى نفس⁽¹⁵⁾.

المطلب السادس: كلمات في الثناء عليه:

لقد اعترف الكثيرون من كبار علماء الهند والعالم الإسلامي بما كانت تتمتع به شخصية الفراهي من غزارة علم، وسعة اطلاع، فأثنوا عليه كعالم للقرآن وعلومه، وملماً باللغة العربية وآدابها، ولا يسع المقام هنا لسوق كلِّ ما قالوا فيه ثناءً عليه ومدحاً له، لذلك أكتفي هنا بذكر بعض أقوالهم في ذلك:

(11) الحسني، عبد الحي، نزهة الخواطر، ج8، ص1267.

(12) انظر: أجمال أيوب الإصلاحِي، في ترجمة الفراهي في فاتحة "مفردات القرآن"، ص31.

(13) انظر: المرجع السابق، ص31-32.

(14) الإصلاحِي، شرف الدين. 2002 م. ذكر فراهي. أعظم كره: الدائرة الحميدية. ط1. ص67.

(15) راوي، مُجَدِّ فَرِيد. 1436هـ/2015. الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن. سلاَنجور: دار الشاكر.

يقول تلميذه العلامة السيد سليمان الندوي: "هو شخص واحد اجتمع فيه عالمٌ من العلم والمعرفة، ماهرٌ في العلوم الدينية، ناقدٌ للعلوم العقلية، وحيدٌ عصره في علوم العربية، نسيحٌ وحده في علم القرآن، عارفٌ بحكمته ودقائقه، كُنَيْفٌ مُلَى علماً، ولكن لم يُنْقَل من علمه - مع الأسف - إلى الدفاتر والأوراق إلا قليلاً..."⁽¹⁶⁾.

وقال العلامة رشيد رضا المصري بعد أن اطَّلَع على بعض أجزاء من تفسير الفراهي، ما نصه: "وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحَّة من النظر، فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير، يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية، دون المباحث الفنية العربية...، وإنَّ للمؤلِّف لفهماً ثاقباً في القرآن، وإنَّ له فيه مذاهب في البيان...، وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى مواردها والصدور عنها ريان من شواهدا"⁽¹⁷⁾.

وقال الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي بعد زيارته للفراهي في مسقط رأسه في عام 1342هـ حين كان في زيارة للهند، يقول: "والرجل فصيح في التكلُّم لغاية، نادر في علماء العرب فضلاً عن علماء الهند...، سمعتُ منه خطبةً تفسيره للقرآن اغرورقتُ منها عينايا لفصاحتها وحقيقتها...، وهو مجتهد في العقائد والعمليات، لا ينتمي لمذهب لكنه يتعبَّد على مذهب الحنفية لأنه نشأ عليه ويعتقد أن الأمر في مثل ذلك سهل، ماهرٌ في الإنجليزية والعربية والفارسية والأردوية، وبالجملة فهو أعلمٌ من لقيته قبل هذا الحين"⁽¹⁸⁾.

وقال العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي: إنه "جمع بين التدبُّر في القرآن والاشتغال به، والتدوُّق الصحيح لفنِّ البلاغة والمعاني والبيان في اللغة العربية، وبين التشبُّع من دراسة بعض اللغات الأجنبية والصُّحُف السَّماوية القديمة، وسلامة الفكر، ورجاحة العقل والتعمق...، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"¹⁹.

المطلب السابع: وفاته:

توفي وهو يتلو القرآن الكريم، في مدينة "مُثُورا" في شمالي الهند، في التاسع عشر من جمادى الثانية سنة 1349هـ (الموافق الحادي عشر من نوفمبر سنة 1930م)، رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً وأسكنه فسيح جناته.

المطلب الثامن: مؤلفاته:

- (16) سليمان الندوي، في مقاله الذي كتبه إثر وفاة الفراهي في مجلة "معارف" الأردنية، المجلد 26، العاد السادس، صفحة 322.
- (17) الإصلاح، أجل، في ترجمته للفراهي، انظر "مفردات القرآن"، ص 21، نقلاً عن رشيد رضا، في مجلة المنار، عدد شهر صفر، عام 1327هـ.
- (18) انظر: المراكشي، تقي الدين، في مقال له عن الفراهي، المنشور في مجلة الضياء، (الصادرة عن دار العلوم لندوة العلماء بلكنؤ في الهند)، المجلد الثاني، العدد السابع، ص 260.
- (19) في مقدمته لكتاب "الإمعان في أقسام القرآن" للشيخ عبد الحميد الفراهي، ص 13.

وقد أَلَّفَ الإمام الفراهي العديد من الكتب بالعربية والفارسية والأردوية، والتي تتناول موضوعاتٍ متنوعةً، ولكن أغلبها في القرآن وعلومه، وها هو تعريف موجز لكل منها:

(1) نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان.

(2) مفردات القرآن.

(3) الإمعان في أقسام القرآن.

(4) أساليب القرآن.

(5) الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ.

(6) حكمة القرآن.

(7) الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح.

(8) حجج القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة.

وهذه أهم مؤلفات الإمام الفراهي في الدراسات القرآنية، وسأقوم بتعريف موسَّع لكل منها في المبحث

الثاني.

(9) التكميل في أصول التأويل: وهو كتاب أفرده الفراهي لذكر أصول لتأويل القرآن إلى صحيح معناه. فموضوعه الكلمة والكلام من حيث دلالاته على المعنى المراد. وغايته فهم الكلام وتأويله إلى المعنى المراد المخصوص، بحيث تنجلي عنه الاحتمالات. وهذا من جهة العموم؛ فإن قواعد التأويل تجري في كل كلام، ونفعها عام يتعلق بفهم معنى الكلام من أي لسان كان، ولكن النفع الأعظم منه في فهم كتاب الله ومعرفة محاسنه للاعتصام به.

(10) فاتحة نظام القرآن: وهي عبارة عن مقدمة الفراهي لتفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان".

(11) دلائل النظام: وقد شرح الفراهي في هذا الكتاب فكرة النظام في القرآن الكريم، ووضَّح أنَّ للترتيب والنظام حظاً وافراً في كل مركب، ولا سيما في القرآن الحكيم، والذين يزعمون خلاف ذلك فإنهم أخطأوا في زعمهم، ولم ينصفوا كتاب الله. ثم يصرح بعد ذلك بأن القرآن الحكيم كلام منظم، ومرتب من أوله إلى آخره، على غاية حسن النظم والترتيب، وليس فيه شيء من الاقتضاب. لا في آياته ولا في سوره، بل آياته مرتبة في كل سورة كالفصوص في الخواتم. طُبِعَ هذا الكتاب مع كتاب "التكميل في أصول التأويل"، وكتاب "أساليب القرآن" في الهند عام 1411هـ.

(12) تفسير سور من القرآن: وهو جزء من أجزاء تفسيره "نظام القرآن" الذي سأحدث عنه بشيء من التفصيل في المبحث الثاني.

(13) أسباب النزول: وهو في بيان أسباب نزول القرآن الكريم كما هو واضح من عنوانه.

وإضافةً إلى ذلك فإن للإمام الفراهي تعليقاتٍ مفيدةً في التفسير كتبها على حواشي نسختين من المصحف في أثناء تدبيره للقرآن الكريم. كما أن له أيضاً عدة كتبٍ في الدراسات القرآنية، والتي ما زالت مخطوطةً، منها:

(14) أوصاف القرآن.

(15) تزكية الروح في ضوء القرآن الكريم.

(16) نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: بقيت أجزاء ناقصة من هذا التفسير لم تُطبع إلى الآن، منها: تفسير سورة البقرة، وهو يشتمل على تفسير (62) آيةً في (56) فصلاً، ومنها تفسير سورة آل عمران، انتهى فيه إلى الآية (31).

(17) النظام في الديانة الإسلامية: وهو جزء من كتاب "حكمة القرآن".

(18) فقه القرآن.

المبحث الثاني: تعريف بمؤلفاته في الدراسات القرآنية:

سأتعرض في هذا المبحث لتعريف أشهر وأهم مؤلفات الإمام الفراهي في مجال الدراسات القرآنية، التي تشمل الكثير من آرائه القيمة وأفكاره السديدة ونظراته الجديدة في هذا الباب.

المطلب الأول: "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان":

وهو تفسير كبير للفراهي، يشتمل على تفسير سور القرآن الآتية: الفاتحة، الذاريات، التحريم، القيامة، المرسلات، عبس، الشمس، التين، العصر، الفيل، الكوثر، الكافرون، اللهب، الإخلاص. وطُبع تفسير هذه السورة في أجزاء مستقلة في أوقات متقطعة.

ويتلخص منهج الإمام الفراهي في هذا التفسير في النقاط الآتية:

(1) تفسير القرآن بالقرآن.

(2) تفسير القرآن بالسنة.

(3) تفسير القرآن بأقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شهدوه من القرآن والأحوال.

يقول الفراهي في ذلك: "أول شيء يفسر القرآن هو القرآن نفسه، ثم بعد ذلك فهم النبي ﷺ، والذين معه، ولعمري أحب التفسير عندي ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه ﺭﻩﻣﻮﻩ... " ثم يستأنف ويقول: "وإني مع اليقين بأن الصحاح لا تخالف القرآن، لا آتي بما إلا كالتبع بعدما فسرت الآيات بأمثالها، لكي لا يفتح باب المعارضة للمارقين الذين نبذوا القرآن وراء ظهورهم، والملحددين الذين يلزموننا ما ليس له في القرآن أصل، ولكي يكون هذا الكتاب حجةً بين فرق المسلمين، فإني ما أردت أن أجمع كل ما يتعلق بالقرآن، فإنه كُنز لا ينفد على كثرة المجتهدين، والكتب في التفسير كثيرة، فمن يسرح فيها بنظر التحقيق يؤتى من العلم ما شاء الله، ولكنني أردت ما

يكون كالأساس والأهم والوسط والحكم، ولهذا اقتضت على ما في القرآن، غير جاحد ما تركته، كما جمع الإمام البخاري - رحمه الله - كل ما ثبت عنده من الحديث متفقاً عليه مع ما ترك كثيراً من الصحاح⁽²⁰⁾.

والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر بعضاً من الروايات والأحاديث التي اعتمد عليها الإمام الفراهي في تفسيره، فعندما فسّر قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِعَصَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: 61]، قال: (المسكنة) مفعلة من السكون، تستعمل للعجز وسقوط الهمة وبؤس العيش، ومنها المسكين، أي الذي سدّ عنه طرق الكسب، ودلّ على هذا المعنى ما جاء في الحديث: «ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان، وإنما المسكين الذي لا يسأل ولا يفتن له فيعطى»⁽²¹⁾. فالمسكنة شدة العجز وبؤس العيش⁽²²⁾.

وعندما تكلم الفراهي عن سورة البقرة بشكل إجمالي استشهد على ما يقول بكثير من الأحاديث، على سبيل المثال قوله: المقدمة في بيان العهود الإلهية، قال: "اعلم أن أصل عهودنا تحقيق العبودية الكاملة، وهي الإيمان بكونه ربنا لا شريك له، ويلزمه أن نسلم به أنفسنا، فتفرغ منها عهدان، عهد التوحيد وعهد الطاعة، ومنها الإذعان لما أرسل إلينا ولذلك قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [سورة النساء: 80]، ونعبر عن العهدين بقولنا (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، وإليها الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَهُمْ فِيهَا أزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة: 25]، وإليه يلعب قوله عليه السلام، كما رواه البخاري في صحيحه". وفي هذا الموضوع لم يخرج الفراهي الحديث، ولعله يقصد الحديث «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرم الله على النار»⁽²³⁾.

طُبع هذا الكتاب في "دار الغرب الإسلامي" ببيروت عام 2002م.

(20) الفراهي، عبد الحميد. 2008م. فاتحة نظام القرآن. سرائر مير، أعظم كره: الدائرة الحميدية. ط1. ص7.

(21) أخرجه البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي. 1428هـ/2007م. في الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه. بيروت: دار الكتب العلمية. ط5. كتاب الزكاة، باب: "لا يسألون الناس إلحافاً"، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَيْسَ الْمَسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالثَّمَرَةُ وَالثَّمَرَتَانِ وَلَكِنَّ الْمَسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِيَّ يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطِنُ بِهِ (لَهُ) فَيُتَّصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ». ج1، ص681، برقم: 1479.

(22) الفراهي، عبد الحميد. 2002م. تفسير نظام القرآن تأويل الفرقان بالفرقان. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ط1، ص255.

(23) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: من خص بالعلم قوماً دون القوم، ج1، ص37، رقم: 182.

المطلب الثاني: "مفردات القرآن":

إن هذا الكتاب من أهم الكتب التي ألفها الفراهي تمهيداً للسبيل إلى معرفة أسرار القرآن، ولتكون خير مرشد للقارئ إلى بواطن الحكم القرآنية الدقيقة الغامضة التي لا يتكشف عنها إلا اللبيب الحاذق البصير.

ذكر الفراهي سبب تأليف هذا الكتاب مقدمته له فقال: "أما بعد! فهذا كتاب في مفردات القرآن جعلته مما نحول إليه في كتاب (نظام القرآن) لكيلا نحتاج إلى تكرار بحث المفردات إلا في مواضع يسيرة يكون فيها الصحيح غير المشهور، فنذكر بقدر ما تطمئن به القلوب السليمة، ولا نورد في هذا الكتاب من الألفاظ إلا ما يقتضي بياناً وإيضاحاً، إما لبناء فهم الكلام أو نظمه عليه، فإن الخطأ ربما يقع في نفس معنى الكلمة فيبعد عن التأويل الصحيح أو في بعض وجوهه، فيغلق باب معرفة النظم. وأما عامة الكلمات فلم نتعرض لها وكتب اللغة والأدب كافة به، ومع ذلك تجد هذا الكتاب - إن شاء الله تعالى - محتويًا على جل ما يقتضي الشرح من ألفاظ القرآن"⁽²⁴⁾.

ثم أشار الفراهي إلى هدف الكتاب والفكرة الأساسية المسيطرة عليه عند تأليفه، كما أشار أيضاً إلى أهمية فهم الألفاظ المفردة في تدبر كتاب الله عزَّ وجلَّ فقال: "لا يخفى أن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام....، فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن أغلق عليه باب التدبر وأشكى عليه فهم الجملة، وخفي عنه نظم الآيات والسورة....، وربما ترى أن الخطأ في معنى كلمة واحدة يصرف عن تأويل السورة بأسرها....، وهكذا ترى الخطأ في حد كلمة واحدة أنشأ مذهباً باطلاً، وأضلَّ به قوماً عظيماً، وجعل الملة الواحدة بدداً....، فإن معظم القرآن الحكمة، وهي الأصل، ولا سبيل إلى فهمها من القرآن دون الاطلاع على معاني كلماتها المفردة"⁽²⁵⁾.

لا ريب أن المعرفة بمعاني الكلمات المفردة تلعب دوراً رئيسياً في فهم مقصود الآيات القرآنية، وبدون العلم بمعاني الألفاظ لا يقدر الإنسان على التدبر في القرآن والتوصل إلى كنه الحكم اللطيفة المختفية في طي النظام القرآني، وربما يتغافل عنها الكثير، ولا يعتنون بأهميتها حق الاعتناء⁽²⁶⁾.

يحتل هذا الكتاب مكانة مرموقة بين كتب الفراهي في مجال الدراسات القرآنية، ويسد فراغاً كبيراً في المكتبات الإسلامية، وذلك لأنه كان أهم العناصر التكوينية لطريقة الفراهي في فهم القرآن، وأعظم الكتب التي تمثل مدرسته منهجاً وغايةً، أسلوباً وطريقة، لكن المنية عاجلت الشيخ وحالت دون أن يكمله، أو يحقق بغيته.

(24) الفراهي، عبد الحميد. 2002م. مفردات القرآن، نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية. تحقيق: محمد أجمل أيوب

الإصلاح. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ط1. ص3.

(25) الفراهي، مفردات القرآن، ص4-5.

(26) الفراهي، مفردات القرآن، ص8.

وقد ظهرت في الكتاب براعة الفراهي اللغوية الأدبية، وعلمه العميق، وقدرته الفائقة على الشرح والتحليل والتطبيق، وشجاعته النقدية في هدوء وأدب واحترام للمتقدمين، ويساعده في معالجة القضايا اللغوية الدقيقة العويصة إلمامه الكامل باللغة والأدب، وإطلاعه الواسع على أساليب الأدب والبلاغة من علم البيان والمعاني والبدیع، وتدوُّقه للكلام العربي والشعر الجاهلي، ووقوفه على تعبيرات الصحف السماوية والأحاديث والآثار، وتضلُّعه من اللغات الأجنبية من الإنجليزية والفارسية والعبرانية.

أما منهج الفراهي في تأليف هذا الكتاب فهو كذلك يمتاز بالرصانة، والجمع بين الإتقان والضبط والتدبر العميق، وشرح الدلالات الاستدلالية، وبين إظهار مكنونات الضمير بشجاعة نقدية دون خجل وأكثرات بوجاهة أحد وجلالة قدره، كذلك يمتاز هذا الكتاب بما ظهر فيه ذكاء المؤلف الحاد، وقوة تحليله، وبسط الشرح، وإطلاعه العجيب النادر على المصادر الأدبية القديمة.

ونقدم فيما يلي نموذجاً من تحقيقه العلمي الرصين على سبيل المثال لا الحصر؛ ليتضح به المنهج وطريقة معالجته للقضايا، يقول الفراهي وهو يشرح معنى "الآلاء" الواردة في القرآن، وهي أول كلمة بدأ بها الفراهي كتابه، يقول: "الآلاء): أجمعوا على أن معناه النعم ولكن القرآن وأشعار العرب يأباه، والظاهر أن معناه: الفعال العجيبة فارسيته كَرِثْمَه.

لما كان غالب فعاله تعالى الرحمة؛ ظنوا أن (الآلاء) هي التَّعَمُّ، والرواية عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - حملتهم على هذا، ولكن السلف إذ سُئلوا أجابوا حسب السؤال والمراد المخصوص من موضع المسئول عنه" (27).

ثم أكَّد الفراهي على رأيه ذلك بذكر الأدلة اللغوية والشواهد الشعرية كما كانت عاداته في جميع كتبه، وتحدَّث عن معنى كلمة "الآلاء" في صفحتين تقريباً، وتوسع في ذكر الأدلة العلمية، واستعمال الكلمة في كلام العرب توسعاً مما لا يدع مجالاً للخروج على رأيه، ويدعو القارئ إلى التوقف عند رأيه والاعتراف بتحقيقه.

طُبِعَ هذا الكتاب سنة 1940م باعتناء الأستاذ عبد الأحد الإصلاحي في "مكتبة الإصلاح" بسراي مير بأعظم جراه. ثم طُبِعَ بتحقيق الدكتور أيوب الإصلاحي في "دار الغرب الإسلامي" ببيروت عام 2002م.

المطلب الثالث: "الإمعان في أقسام القرآن":

ألَّفَ الفراهي كتابين في أقسام القرآن، الأول كان عبارةً عن رسالة صغيرة سماه "أقسام القرآن"، والثاني أوسع من الأول، وسماه: "الإمعان في أقسام القرآن".

ولما طُبِعَ كتابه الأول "أقسام القرآن" تداولته الأيدي بالقبول والاستحسان، وعكف عليه العلماء والباحثون يشنون على المؤلف بأسلوبه العلمي الرصين، وطريقة تدبُّره في القرآن، والاشتغال به، وسلامة فكره،

ورجاحة عقله، وشجاعته العلمية النقدية، فكان ذلك حافظاً قوياً له أن ينهض لتناول هذا الموضوع من جديد في ضوء الدراسات القرآنية التي لا نهاية لها ولا تحديد، وليصل منه ما كان منقطعاً ويكمل منه ما كان ناقصاً، ويسط في الكلام ما كان وجيزاً مجملاً، فألف كتاباً آخر سماه: "الإمعان في أقسام القرآن"، الذي يختلف عن الأول في اسمه وحجمه ومباحثه اختلافاً كبيراً.

مباحث الكتاب:

ذكر الفراهي أولاً الشبهات الثلاث على أقسام القرآن، وهي شبهات رئيسة تدور في خواطر أوساط الناس والسطحيين من القراء، فقال: "اعلم أن الشبهة على أقسام القرآن من وجوه:

أ- القسم نفسه لا يليق بجلالة ربنا، فإن الذي يحلف على قوله يهين نفسه، ويضعها موضع من لا معول على حديثه، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تُطْع كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ [سورة القلم: 10]، فجعل الحلف من الخلال المذمومة، ونهى المسيح الحواريين عن الحلف مطلقاً، "ليكن قولكم نعم نعم أو لا لا، ولا تحلفوا".

ب- القسم في القرآن جاء على أمور مهمة كالمعاد والتوحيد والرسالة، ولا فائدة فيها للقسم إلا لمنكرها، فإنه يطلب الدليل والبرهان، والقسم ليس في شيء منه، ولا للمؤمنين فإنه قد آمن بها.

ج- القسم يكون بالذي عظم ورجل، وقد قال النبي ﷺ: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»⁽²⁸⁾، فنهى عن القسم بغير الله، فكيف يليق بجلالة ربنا أن يقسم بالمخلوق لاسيما بأشياء مثل التين والزيتون»⁽²⁹⁾.

وقد ذكر الفراهي أولاً ما أجاب به الإمام فخر الدين الرازي، وقد انتقده وذكر عدم ارتياحه إلى وجاهته، وعدم إصابته الهدف، وأثنى على طريقة الإمام ابن القيم ثناءً إجمالياً، وقد ناقشه مناقشة علمية هادئة أدبية مما يدل على إنصافه واتزانه، وشجاعته العلمية والنقدية.

وقد عقد باباً مستقلاً بعنوان "طريق هذا الكتاب في الجواب على سبيل الإجمال، وقد ذكر بعد ذلك بالإجمال: "أن أقسام القرآن بالمخلوقات ليست إلا آيات دالة؛ وأنها نوع من القسم مبين للأقسام التعظيمية".

وقد تناول تاريخ القسم وحاجة الناس إليه قديماً وحديثاً، وطرقه المتنوعة وبين معاني كلمات القسم ومفهومه الأصلي ومفاهيمه المتشعبة الثلاثة من الإكرام والتقديس والاستدلال المجرد، وعقد لذلك باباً مستقلاً بعنوان "تاريخ القسم وحاجة الناس إليه، وطرقه المختلفة، والدلالة على حقيقة معناه في أول الأمر"، وهو باب يدل على اطلاعه الواسع على أساليب كلام العرب، وأساليب غيرهم من الشعوب والأمم، والآداب واللغات،

(28) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف؟، رقم: 2679.

(29) الفراهي، عبد الحميد. 1415هـ/1994م. الإمعان في أقسام القرآن. تحقيق: أجمل أيوب الإصلاحي. دمشق: دار القلم.

والثقافات والديانات، ونوّه ببعض الأخطاء في بعض الترجمات للصحف القديمة، مما يدلّ على دراسته المقارنة العميقة للصحف السماوية والديانات المختلفة، وإطلاعه الواسع على كلام العرب الأولين، فهو يرى أهمية تقدير المقسم به في كل موضع، أما إذا ضمّ إليه المقسم به فإنما هو للإشهاد، ولا يراد منه التعظيم إلا إذا كان بالله تعالى وبشعائره.

وذكر الفراهي أنواع القسم، منها القسم على وجه الإكرام للمقسم به والمتكلم والمخاطب، والقسم على وجه التقديس للمقسم به، استشهد في هذا الباب بأبيات كثيرة للشعراء الجاهليين مما يدل على اطلاعه الواسع على الشعر الجاهلي، ومنها القسم على وجه الاستدلال بالمقسم به، وهو الأقرب إلى نوع الأقسام القرآنية، وأبعد عن الشبهات والتساؤلات، واستشهد في ذلك بأبيات العرب الأولين، وعرض في ذلك نماذج من كلام الأولين من بلغاء اليونان، ثم شرح دلالات القسم الاستدلالي، وذكر الأدلة المأخوذة من نفس القرآن على ما فيه من الأقسام الاستدلالية، وهي الغاية من تأليف هذا الكتاب، والمحور الذي يدور حوله، وتوسّع الفراهي في ذكر الأمثلة من القرآن، وتطبيقها على الغايات، ثم ذكر بعض أسباب خفاء الوجه الصحيح في تأويل أقسام القرآن، وذكر بعض ما في القسم من أبواب البلاغة ولطائفها.

سمات الكتاب:

إذ قمنا باستعراض ما تضمّن هذا الكتاب من المزايا والسمات البارزة وجدنا الشيء الكثير الذي زانه، وفضل الفراهي على كثير من العلماء والدارسين، نذكر من أهمها ما يلي:

- (1) الشمول والاستيعاب والإحاطة.
- (2) الاستشهاد بأقوال السلف.
- (3) تفسير السورة التي ورد فيها القسم إذا دعت الحاجة إلى ذلك.
- (4) الإشارة إلى الرباط الذي يربط أي السورة بعضها ببعض.
- (5) ذكر اللطائف العلمية، وحل الغوامض التفسيرية والتأريخية.
- (6) الاستشهاد بأشعار العرب الأولين.
- (7) إثبات الإعجاز القرآني.
- (8) الاحتواء على النُّكْت المستمدة من فن البلاغة وأساليب البيان العربي.
- (9) الاستدلال بالكتب السماوية الأخرى، والاستشهاد باللغات الأجنبية من الإنجليزية والعبرانية.
- (10) المقارنة بالديانات العالمية.

طُبِعَ هذا الكتاب بعناية الدكتور أيوب أجمل الإصلاحي في "دار القلم" بدمشق عام 1415هـ/1994م.

المطلب الرابع: "أساليب القرآن":

سَمَّى الفراهي هذا الكتاب "كتاب الأساليب" بدلاً عن "أساليب القرآن"؛ وذلك أنه ليس من قصده أن يختصه بالقرآن الكريم فحسب، بل كان يريد أن يكون أساس وضعه على أساليب كلام العرب، كما يقول: "هذا الكتاب ليس ككتاب المفردات مختصاً بالقرآن، ولكنه متضمن لفن برأسه، يجري حكمه في عموم أساليب كلام العرب، غير ما اختص بالقرآن لكونه منزلاً على رسول"⁽³⁰⁾. ثم طُبِعَ هذا الكتاب باسم "أساليب القرآن". وإن قصد الفراهي من خلال ما أُلْفِه من الكتب في التفسير أو في فن آخر، لا يكون إلا تعييد الطريق وتمهيد السبيل إلى فهم القرآن الكريم، وقد تَحَثَّ الفراهي في هذا الكتاب عن أساليب اللغة العربية وأساليب القرآن الكريم، ومراده هنا باللغة الأدب العربي الذي نشأ وترعرع في زمان نزول الوحي، ومن هذه الناحية لم يعتبر لغة المولدين لغةً يستند إليها أو يوثق بها، حيث يقول عن غاية هذا الكتاب: "كما أن المقصود من كتاب المفردات إحاطة العلم حتى الوسع بدلالة الكلم بجرمه ووجوهه، وكذلك المقصود من هذا الكتاب إحاطة العلم حتى الوسع بدلالات الصور والأساليب ومواقع استعمالها، فإن محض العلم بأسلوب خاص من دون تخصيص مواقعه، يفتح باباً عظيماً لسوء التأويل، مثلاً قالوا: إن كلمة (لا) بما تأتي زائدة، فإهمال هذا القول أقرب إلى الضرر منه إلى النفع، فإنه يجعل النفي إثباتاً، فلا بد أن نعلم مواقع الأساليب، فنستدل على معانيها ولا نحو لها عن مواضعها الخاصة، ومن هذه الجهة اشتدت الحاجة إلى إقامة الحجة على هذه الدلالات، فإن ذلك جزء من معاني الكلام، والجاهل به كالجاهل ببعض المعاني لكلمة مشتركة، فلا يؤولها إلا إلى ما علم من معانيه وربما يكون المراد غيره"⁽³¹⁾.

ومما يدل على أهمية الكتاب وموضوعه ومحتوياته وما يحتله هذا الفن من مكانة عالية شامخة التصريحات والتعليمات التي ذكرت في هذا الكتاب، ولكن الفراهي لم يتحدَّث عن أهمية هذا الفن ولم يتناول هذه النقاط إلا بإيجاز واختصار، ولو قمنا باستعراض هذه النقاط لطال الكلام ولصاق المقام، ولم يثر كذلك علماء المعاني موضوع أساليب الكلام، إلا أن الفقهاء الأصوليين اقتبسوا من هذا الموضوع بعض القواعد والمسائل حسب ما ألجأهم الضرورة إليه، ولم يستطع هذا الفن أن يركز عناية عدد من الباحثين والمحققين رغم أنه يحمل في طيه أهمية بالغة قصوى، والفراهي هو أول من استشعر أهمية هذا الفن في فهم القرآن، ولم ير بداً أن يؤلف فيه تأليفاً مستقلاً،

(30) الفراهي، عبد الحميد. 2013م. أساليب القرآن. جمع بدر الدين الإصلاحي. سراء مير، أعظم كره: الدائرة الحميدية. ط1. ص6.

(31) الفراهي، أساليب القرآن، ص155.

فلم يسبقه أحد في هذا الباب، والفضل في ذلك يرجع إليه، فليته أتم هذا الكتاب وفقاً لما كان تصوره، وما كان في الكتاب فهو ناقص، ورغم ذلك كله لا يمكن الجحود والإنكار بأهميته وإفادته. وهناك أمر يحتاج إلى الوضوح والبيان وهو أن من يريد المطالعة والاستفادة من هذا الكتاب فليعلم أنه ليس تأليفاً مستقلاً بل هي مجموعة من الإشارات والتلميحات، وهي تتوحي منه المعرفة التامة والاطلاع الواسع على أفكار الفراهي ونظرياته وميوله مع التفكير والتعمق والنظر فيها. وقد تطرّق كلام الفراهي في هذا الكتاب إلى أساليب الكلام ومواقع استعمالها المتنوعة مصحوبة بالأمثلة القرآنية عن طريق العناوين المختلفة التي يصل عددها إلى اثنين وثلاثين بعد وضع الأبواب والفصول التمهيدية، ولا يمكن الوصول إلى المعنى المراد الصحيح إلا بمعرفة هذه الأساليب ومواقع استخدامها. ومما يجدر بالذكر أن الأمثلة المختلفة كلها في هذا الكتاب مقتبسة من القرآن الكريم، غير أن هناك أمثلة عديدة مأخوذة من أساليب كلام العرب.

وإن نظرة سريعة على عناوين الكتاب ومحتوياته تكفي لمعرفة ذكاء المؤلف، وتوقّد ذهنه، وتبخر علمه، وسعة مطالعته، وآرائه القيمة، وأفكاره السديدة، فجاء ككتاب مستقل بعينه يسلط ضوءاً على أساليب القرآن. طبع هذا الكتاب بعناية الأستاذ بدر الدين الإصلاححي في "الدائرة الحميدية" بأعظم كره في الهند عام 2013م.

المطلب الخامس: "الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ":

يُعَدُّ هذا الكتاب من أنفس مؤلفات الإمام الفراهي في مجال الدراسات القرآنية، تناول فيه موضوعَ الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، الذي يُعَدُّ من الموضوعات المهمة التي شغلت العلماء قديماً وحديثاً، ما بين مسرف فيه ومقتصد، كما أنه كان موضعاً للجدل عند العلماء والفرق الإسلامية من حيث جواز وقوعه في القرآن وعَدَمِهِ، وقد أَلَّفَ العلماء فيه عدداً كبيراً من الكتب، فلا نكاد نرى مفسراً للقرآن الكريم، إلا وقد اهتمَّ بموضوع النسخ وألَّفَ فيه.

يشتمل هذا الكتاب على مباحث مهمة في موضوع النسخ كما يظهر من خطة الفراهي، ولكن مما يقضي له الأسف أنه قد عاجلته المنية، وانخرمت حياته دون تحقيق بغيته، إلا أن قائمة المباحث التي يشتمل عليها الكتاب تشير إلى أهمية المنهج والدقة في المبحث والسعة في العرض والتحليل العميق، ولو سنحت له الفرصة في إكمال الكتاب لجاء فريداً في بابه، جامعاً لشتات الفنون، ومحيطاً بصفوة آراء المتقدمين، وحائزاً بنكت شريفة وحكم لطيفة.

أما المباحث التي يحويها هذا الكتاب القيم فهي كما يلي:

(1) ما هو النسخ، وتنقيح المسألة.

(2) الحكمة من النسخ.

- (3) محلّ النسخ من الأمور.
- (4) الناسخ لا يكون إلا الشارع، وهو الله تعالى ورسوله بإذنه.
- (5) غير القرآن لا ينسخ.
- (6) × (تركه بيضاء لم يكتب شيئاً).
- (7) × (تركه بيضاء لم يكتب شيئاً).
- (8) أهم النسخ ما جاء به القرآن لما قبله.
- (9) ذكر قسمين من ثلاثة أقسام النسخ.
- (10) الحكمة العامة في النسخ وهي تبقى.
- (11) القسم الثالث من النسخ الباقي.
- (12) جواب قول نفاة النسخ.
- (13) كشف معنى كلمة النسخ وبيان قول النفاة.

هكذا قام الفراهي بترتيب هذا الكتاب، ولكن بعض الأمور التي خطّطها - رحمه الله - لم يتحقق بسبب نوع من الاستعجال في الكتابة أو أنه لم يجد الفرصة. وهذا شأنه في بعض مؤلفاته وهو يذكر أنه سيذكر فيما بعد ولكنه لم يفعل ذلك.

طُبِعَ هذا الكتاب بعناية الأستاذ عبيد الله الفراهي في "الدائرة الحميدية" بأعظم كره في الهند، عام 1432هـ/2011م.

المطلب السادس: "حكمة القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة":

تُطَلَقُ "الحكمة" على معانٍ عدّة، منها: الحكمة بمعنى السُنَّة، وبيان الشرائع⁽³²⁾، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة: 129]. وقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: 151].

"الحكمة" بمعنى النبوة⁽³³⁾: قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة البقرة: 251]. وقال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ﴾ [سورة ص: 20]. وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّبِعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [سورة الزخرف: 63].

(32) الفراهي، عبد الحميد. 2007م. حكمة القرآن. أعظم كره: الدائرة الحميدية. ط1. ص14.

(33) انظر المرجع السابق، ص14.

"الحِكْمَة" بمعنى الفِقه⁽³⁴⁾، قال تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿269﴾ [سورة البقرة: 269].

"الحِكْمَة" بمعنى الفَهْم، وحُجَّة العقل وفقًا للشريعة⁽³⁵⁾، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [سورة لقمان: 12].

"الحِكْمَة" بمعنى العِظَة³⁶، قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التُّذْرُ﴾ [سورة القمر: 5].

وللإمام الفراهي كتابٌ نفيسٌ في هذا الموضوع، وله ثلاث مسودات. وقد سمى الأولى بـ"الحكمة البالغة: في الحكمة الإسلامية يعلمها القرآن ويتقبلها أولو الألباب بما أنها تبلغ قلوبهم وتخطب عقولهم"، وسمى الثانية بـ"حكمة القرآن"، وأبقى هذا العنوان في المسودة الثالثة.

ويقصد الفراهي بـ"الحكمة" أنها: "إعمال الفكر ثم العمل بمقتضى الفكر، فيزداد علماً وعملاً".⁽³⁷⁾ وقد

عرّفها بمعناها المعروف كما عرّفها جماعة من السلف، وكما وردت في القرآن والحديث في مواضع متعددة. يقول الفشراهي في كتابه "مفردات القرآن: الحِكْمَة" اسمٌ للقوة التي منها ينشأ القضاء بالحق. قال تعالى في نعت داود عليه السلام: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [سورة ص: 20]، فذكر الأثر بعد القوة التي هي مصدر ذلك الأثر. وكما أن القول الفصل من آثار الحكمة، فكذلك طهارة الخلق وحسن الأدب من آثارها.

ولذلك كانت العربُ تُطلق اسمَ الحكمة على قوة جامعة لرزانة العقل والرأي، وشرافة الخلق الناشئة منها. فسَمَّوا الرجلَ العاقلَ المهذبَ: "حكيمًا".

وكذلك يُطلقون اسم "الحكمة" على فصل الخطاب، وهو: القول الحق الواضح عند العقل والقلب⁽³⁸⁾. وذكر الفراهي أنَّ كل هذه الوجوه من معاني "الحكمة" جاءت في كلام العرب. فاستعملها القرآن والنبي ﷺ بما عرفوه.

طُبِعَ هذا الكتاب في "الدائرة الحميدية" بأعظم كره في الهند، عام 2007م.

المطلب السابع: "حُجَجُ الْقُرْآنِ":

إنَّ من أسْمَى العلوم وأغزر الهبات مما يمين الله به على من يشاء من عباده هو فقه حُججه وبيِّناته، ما ينصرون به الحق، ويعلون رأيتَه، ويكتبون به أهل الباطل، وينكسون غايته، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ

(34) انظر المرجع السابق، ص14.

(35) انظر المرجع السابق، ص14.

(36) انظر المرجع السابق، ص15.

(37) انظر المرجع السابق، ص13.

(38) انظر في تعريف "الحكمة" وأسمائها كتاب "حكمة القرآن" للفراهي، ص25-29.

عَلَى قَوْمِهِ نَزَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿83﴾ [سورة الأنعام: 83] ، فَسَمَّاهَا "حجته" ونسبها إليه تعالى ذكره، وتلك الإضافة الشريفة تقتضي ما تقتضيه من علو شأنها، وثبات أركانها، وإحكام بياتها، وشرفها وفضلها.

وفي هذا الباب أَلَّفَ الفراهي كتابه الذي سَمَّاهُ بـ"حجج القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة"، وذكر في مقدمته له عن أهمية هذا الموضوع بأن له أهمية من جهات كثيرة، منها:

- (1) من جهة كونه أساساً ومفتاحاً.
- (2) من جهة أنه خطابٌ إلى أعلى ما فطر الإنسان من العلم والرشد.
- (3) من جهة أنه الفارق بين الدين الحق الذي بني على الحكمة والهدى، والذي بني على محض التقليد والعمى⁽³⁹⁾.

أما الأسباب التي دعت الفراهيَّ إلى تأليف هذا الكتاب فهي كما يلي:

- (1) الزعم أن طريق العقل مباين للتعليم الإلهي.
- (2) ابتلاء كثير من الناس بعقليات سافلة زائغة عن طريق الفطرة والهدى مفضية إلى محض الحيرة وصريح العمى.
- (3) أباطيل المنطق التي منعت الناس عن معرفة ما في دلائل القرآن من الرسوخ.
- (4) الوهم بأنَّ مسائل التوحيد والربوبية إنما يبرهن عليها بطريق الفلسفة، وأما الأنبياء فلم يأتوا إلا بالإقناعات.

- (5) الغفلة عما هو فوق الحياة الدنيا لشدة انهماك الناس في المشاغل المحسوسة الحاضرة.
 - (6) الظنُّ بأن القرآن إنما حُوِّطَ به الأميون البسطاء فلا يكون موضعاً للتدبُّر وإمعان النظر.
 - (7) الظنُّ بأن القرآن كثير الاقتضاب والانتقال من معنى إلى معنى من غير مناسبة بينهما⁽⁴⁰⁾.
- ومحتوى هذا الكتاب منقسمٌ إلى مقدمة وثلاث مقالات. أما المقدمة فقد ذكر فيها أهمية الموضوع والحاجة إليه. ثم في المقالة الأولى انتقد المنطق والفلسفة والكلام في ثلاثة أبواب. والمقالة الثانية في تأسيس العلم وهي أيضاً منقسمة إلى ثلاثة أبواب:

(1) الميزان، وقد سَمَّاهُ "المنطق الأعلى".

(2) الحكمة البازغة.

(3) طريق احتجاج القرآن.

(39) الفراهي، عبد الحميد. 2009م. حجج القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة. أعظم كره: الدائرة الحميدية. ط1. ص18.

(40) المرجع السابق، ص19-28.

أما المقالة الثالثة فهي تتعلّق بمحجج القرآن، وهي أيضاً تشتمل على ثلاثة أبواب. باب في أدلة الربوبية، وباب في أدلة المعاد، وباب في أدلة الرسالة.

طُبِعَ هذا الكتاب في "الدائرة الحميدية" بأعظم كره في الهند، عام 2009م.

المطلب الثامن: "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح":

تعرّض الفراهي في هذا الكتاب لإبطال ما زعمه اليهود من أنّ الذبيح إسحاق - عليه السلام - والكشف عن تحريفاتهم لإثبات ذلك في التوراة، وقد يظنّ بعض الناس أن هذه المسألة مسألة فرعية جزئية من التاريخ، وسواء إسماعيل كان الذبيح أم إسحاق عليهما السلام، فكلاهما من أنبياء الله ورسله، فليست لذلك أهمية شرعية تستوجب اهتماماً كبيراً كهذا، ولكنه ظنّ لا نصيب له من الصحة.

نظراً إلى أهمية قضية الذبيح الشرعية والتاريخية، نهض الفراهي لحسم الخلاف والإتيان بفصل الخطاب وإيضاح الحق، وألّف كتاباً قيماً حافلاً بالحجج والبراهين الساطعة، وسَمَّاهُ "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح"، حاول فيه إثبات كون إسماعيل هو الذبيح لا غير، مستنداً في رأيه أولاً على التوراة واعترافات علماء أهل الكتاب أنفسهم، وثانياً على الاستدلال بالقرآن المجيد، وثالثاً بالروايات وأقوال علماء الإسلام.

وقد أثنى على هذا الكتاب القيم العلامة السيد سليمان الندوي فقال: "لا مانع من أن أقول: ما رأيتُ في تاريخ الإسلام رسالة أحسن منها"⁽⁴¹⁾.

طُبِعَ هذا الكتاب في دار القلم بدمشق عام 1999م.

خاتمة البحث:

ومن خلال إعداد هذا البحث توصلت إلى النتائج والتوصيات التي تتلخّص في النقاط التالية::

أ- النتائج:

1) أنّ الإمام عبد الحميد الفراهي أحد العلماء القلائل في الهند، الذين جمعوا بين الثقافتين الإسلامية والغربية، فكان جامعاً بين التبحر في العلوم العربية والدينية، والاطلاع الواسع على العلوم العصرية والطبيعية، ويظهر أثر هذه الثقافة الموسوعية العميقة في معظم مؤلّفاته. ولذلك كانت شخصيته مرجعاً كبيراً لكثير من المثقّفين المسلمين من عليّة القوم؛ وذلك لما عُرف بفرط الذكاء، ونفاد البصر، وسرعة الإدراك، ودقة الاستنباط، وغازرة العلم، وسعة الاطلاع، فكان - رحمه الله تعالى - عالماً ذا ثقافة واسعة متنوّعة، مهر في اللغات العربية والفارسية والإنجليزية، وتعلّم اللغة العبرانية. وتلك أمور لم يتصف بها أحد

(41) الفراهي، عبد الحميد. مجموعة تفاسير فراهي. ص43.

من علماء الهند قديماً وحديثاً، ثم لم يزد ذلك كله إلا قوةً في الدين وغيره عليه، واستقامةً عليه علمياً وعملياً.

(2) أن الفراهي قام بتأليف العديد من الكتب في مجال الدراسات القرآنية، وتناول فيها موضوعاتٍ جديدةً لم يسبق إليها أحد قبله. وأسلوبه في تلك المؤلفات يتسم بالجرأة والثقة بالنفس في مناقشة المسائل التي يراها صواباً ولا سيما في المسائل العلمية التي يتسع فيها مجال الأخذ والرد. وكذلك من أبرز خصائص أسلوب مؤلفاته أنه يمتاز بالرصانة، والجمع بين الإلتقان والضبط والتدبر العميق، وشرح الدلالات الاستدلالية، وبين إظهار مكنونات الضمير بشجاعة نقدية.

(3) أن الفراهي بدراسته العميقة للغة العربية وآدابها وعلومها قد صار عنده حسّ لغويّ عجيب وذوق عربيّ رفيع كالعرب الخُلص، ولكن مع كل هذه المزايا التي تجسّدت في شخصيته كانت مزية أخرى قد غلبت تلك المزايا كلها، وهي: حب القرآن الكريم، الذي كان فوق كل شيء، ولن يشعر بعظمة هذا القرآن إلا من كان عربياً خالصاً، وأكبر دليل وشاهد على ذلك كتابه "مفردات القرآن"، الذي يُعتبر من أحسن ما أُلّف في هذا الموضوع، فهو يُطلّعنا على مدى تقدّم الفراهي في اللغة العربية وإلمامه ببلاغتها.

ب- التوصيات:

قد بدت لي بعد دراستي لهذا الموضوع مجموعة من الاقتراحات والتوصيات ما يلي:

(1) أن الإمام الفراهي قضى حياته كلها في خدمة القرآن الكريم وعلومه، فألّف ما أُلّف من الكتب في هذا المجال، والتي - لا شك - تُعتبر إضافةً قيمةً في المكتبة القرآنية، لكنه مع ذلك للأسف الشديد ما زال مجهولاً ومغموراً في كثير من الأوساط الدينية والعلمية، لذلك الحاجة ماسةً إلى تعريف شخصيته على نطاق واسع، ودراسة آثاره على نهج أكاديمي سواء أكانت عن طريق الرسائل الجامعية أو الأبحاث العلمية.

(2) أن للفراهي كتباً عديدةً ما زال عداؤها في المخطوطات، فيجب على الدارسين في هذا المجال الاعتناء بها تحقيقاً ودراسةً.

(3) عقد المؤتمرات والندوات العلمية لتعريف حياة الإمام الفراهي وآثاره العلمية، حتى يمكن من خلاله إبراز ما قام به هذا العَلم الشامخ والعالم الجليل من خدمات عظيمة في الدراسات القرآنية، كذلك يتسنى من خلال ذلك نشر علمه الغزير وآرائه القيمة في هذا المجال المبارك.

هذا ما وقّفتني الله تبارك وتعالى بإدلاء دلوي في هذا الموضوع تعريفاً بشخصية الفراهي، وإبرازاً بجهوده القيمة في مجال القرآن الكريم المبارك، أسأله تعالى أن يوفّقني فيما يحبه ويرضاه، وأن يرزقني المداومة في سبيل العلم والعمل والدعوة، وصلى الله على رسوله محمّد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

